

نظرية الصرفة

د. نبيلة بنت حسن بن محمد تركي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية الجامعية بالقنفذة

جامعة أم القرى

المخلص:

العنوان: نظرية الصرفة.

أسباب اختيار البحث:

١. تحرير المقصود بالصرفة تحريراً يزيل اللبس الحاصل بين مفهومها عند القائلين بها والمعارضين.

٢. تحرير القول في نشأتها، والأساس العقدي الذي تقوم عليه.

٣. تناثر أقوال العلماء الذين تناولوا الصرفة بالبحث في مؤلفاتهم.

أسئلة البحث:

١. هل العرب قادرون على الإتيان بمثل القرآن أم لا؟

٢. إن كانوا غير قادرين فما سبب عدم قدرتهم، هل هو العجز الطبيعي أم صرف الهمة عن ذلك؟

٣. ما هو المعنى الدقيق للصرفة؟

٤. هل القول بالصرفة هو الوجه الوحيد لإعجاز القرآن عند القائلين بها؟

٥. هل هناك تناقض بين القول بالصرفة والقول بالإعجاز البلاغي؟

ويتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس المصادر.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، إضافةً إلى الدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: الصرفة لغة واصطلاحاً، ومصدرها وأشهر القائلين بها. ويشتمل على تعريف مفهوم الصرفة لغةً واصطلاحاً، وذكر مصدرها، وأشهر القائلين بها.

المبحث الثاني: إبطال القول بالصرفة بالأدلة النقلية والعقلية. ويشتمل على إبطال القول بالصرفة بالأدلة النقلية والعقلية.

ثم الخاتمة واحتوت على أهم النتائج والتوصيات.

والحمد لله على توفيقه وامتنانه.

Message summary**Title: Pure Theory****• Reasons for selecting a search :**

- 1- Edit the meaning of pure liberation ‘removes confusion between the concept of those who say it and opponents .
- 2- Edit the statement in its inception ‘and the basis of the basis on which it is based .
- 3- Scattering the words of the scientists who dealt purely research in their writings .

• Research questions :

- 1- Are Arabs capable of bringing the Quran or not?
- 2- If they are unable ‘what is the reason for their inability ‘is it natural disability or distracted from it?
- 3- What is the exact meaning of pure?
- 4- Is the saying of the pure is the only face of the miracle of the Qur'an among those who say it?
- 5- Is there a contradiction between saying just and saying the rhetorical miracles?

The Message consists of an introduction ‘two research ‘a conclusion ‘and indexes .

Introduction: It includes the importance of the subject: the reasons for its selection ‘its objectives ‘in addition to the previous studies ‘and the research methodology. And his plan .

The first topic: Pure language and terminology ‘and the source and famous say. And includes the definition of the concept of pure language and terminology ‘and the source ‘and the most famous of those who say it .

The second topic: nullification of the statement of pure transport and mental evidence. It includes the nullification of the statement purely by transport and mental evidence. Then the conclusion and contained the most important findings and recommendations .

Thank God for his approval and gratitude

المقدمة:

الحمد لله الواحد الديان، العظيم الشأن، ذو الفضل والإحسان، خلق الإنسان، وعلمه البيان، أنزل الفرقان هدى ورحمة للعالمين، وتحذى به الإنس والجان فعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته الحسان، وأصلي وأسلم على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فقد امتن الله ﷻ على عباده بإرسال الرسل، وأيدهم بالبراهين والحجج، واختص هذه الأمة المحمدية من بين سائر الأمم بالمعجزة الكبرى الخالدة ألا وهي القرآن الكريم، فكان هذا الوحي الإلهي الذي تكفل الله بحفظه، وأعجز العرب عن الإتيان بمثله مع ما أوتوا به من الفصاحة والبيان، فتحداهم المولى تبارك وتعالى على الإتيان بمثله، فعجزوا عن ذلك بل عجزوا عن الإتيان بأية من قصار سورته، ودعاهم لمعارضته، فلم يستطيعوا مع توفر دواعيهم لذلك، وما هذا إلا لعجزهم واعترافهم بالعجز أمام هذه المعجزة الباهرة، التي ظلت الأمم قروناً طوالاً جيلاً بعد جيل تنهل من معينه وتسبر الأغوار، لاستخراج كنوزه.

هذا هو القرآن فجز ساطع سفر تضاءل دونه الأسفار!!

المحكم التنزيل ليس بمدرِك لفظاً وما سُبِرَتْ له أغوار!!

المعجز التأويل.. في آياته.. وبه لكم يتألق الأطهار!! (١)

وإن الناظر في تاريخ الأمم منذ القرون الأولى ومنذ ذلك الرعيل الأول الذين عاصروا زمن التنزيل وأدركوا قدسيته وعظمته، فسيطر على نفوسهم وأقروا بالعجز عن الارتفاع إلى مستواه، فيما هم بين مهتدي قد عانق النور خطاه فرجع إلى مولاه، وإما بين مستكبر قد أطغاه هواه وهو بين ذلك معترف بقدسيته، فهذا أحد المكابرين ممن قد أحس في قرارة نفسه بعظمة القرآن وأنه ليس في مقدور البشر، فما هو يعترف أمام ملام من قريش بأن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأنه لمغدق أسفله مثمر أعلاه!! لكنه يعود إلى عناده فيبقى مستغرقاً في جحوده وطغيانه..

وتبقى هذه الكوامن المقرة بعظمة القرآن وإعجازه مدة من الزمن إلى أن تأتي فترة يفقد فيها المجتمع الإسلامي ذلك الصفاء الذي كانت عليه السليقة العربية، فمع كثرة الفتوحات أخذت الثقافات الفارسية واليونانية تشق طريقها إلى المجتمع الإسلامي. وبدأ الناس يفكرون بطريقة عقلية مجردة عن التذوق الجمالي وإدراك المعاني على ما كانت عليه السليقة العربية من قبل.

(١) - ومضات إيمانية: لإبراهيم المداح ص ١٢٩.

ومن هنا يأتي الحديث عن وجه إعجاز القرآن، وعن سبب عجز العرب عن الإتيان بمثل سورة من القرآن، فيظهر لنا ما يسمى (بالصرفة) والذي سيكون منطلق حديثنا من خلال هذه الصفحات محاولة فيها الكشف عن معنى الصرفة التي ذهب إليها بعض العلماء الأوائل في البحث عن وجوه إعجاز القرآن، مع التعريف بأبرز من ذهب إلى القول بالصرفة، وتقنين هذا القول بالأدلة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

قد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك في المقدمة، وهناك أسباب أخرى كثيرة في أهمية الموضوع، ومن أبرزها:

٤. تحرير المقصود بالصرفة تحريراً يزيل اللبس الحاصل بين مفهومها عند القائلين بها والمعارضين.
٥. تحرير القول في نشأتها، والأساس العقدي الذي تقوم عليه.
٦. تناثر أقوال العلماء الذين تناولوا الصرفة بالبحث في مؤلفاتهم.

أهداف البحث:

- ١- معرفة المعنى الدقيق للصرفة.
- ٢- بيان مدى التناقض بين القول بالصرفة، والقول بالإعجاز البلاغي.
- ٣- بيان بطلان نظرية الصرفة، والرد عليها وتفنيدها.

الدراسات السابقة، ومنها:

١. الموضح عن جهة إعجاز القرآن "الصرفة" : للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي.
٢. تنوير القول بالصرفة: دراسة في إعجاز القرآن الكريم: محمود توفيق محمد سعد، جمعة الأزهر.
٣. الصَّرْفَة: دلالتها لدى القائلين بها، وردود المعارضين لها: لسامي عطا، جامعة آل البيت.
٤. القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم: عرضٌ ودراسة: لإبراهيم منصور التركي، جامعة القصيم.
٥. القول بالصرفة في إعجاز القرآن "عرض ونقد" : لعبد الرحمن بن معاضة الشهري.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، وهي كما يأتي:

المقدمة، وتشمل الآتي:

- ١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- ٢- أهداف البحث.
- ٣- الدراسات السابقة.
- ٤- خطة البحث.
- ٥- المنهج المتبع في البحث.

المبحث الأول: الصرفة لغةً واصطلاحاً، ومصدرها وأشهر القائلين بها، وفيه ثلاثة**مطالب:**

- المطلب الأول: الصرفة لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: مصدر القول بالصرفة.
- المطلب الثالث: أشهر القائلين بالصرفة.

المبحث الثاني: إبطال القول بالصرفة بالأدلة النقلية والعقلية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إبطال القول بالصرفة بالأدلة النقلية.

المطلب الثاني: إبطال القول بالصرفة بالأدلة العقلية.

خاتمة البحث: وتشمل النتائج والتوصيات.

المنهج المتبع في البحث:

المنهج المتبع في كتابة البحث هو (المنهج الاستقرائي التحليلي)، وتتمثل أهم مفرداته وخطواته في الآتي:

١. تناولت نظرية الصرفة من خلال التعريف بها، ثم ذكرت المصدر الذي جاءت منه الفكرة، ثم تعرضت لذكر القائلين بالصرفة واقتصرت على أشهر القائلين بها فقط، ثم ختمت ذلك بدحض هذه الشبه وتفنيدها من خلال ذكر بعض أقوال العلماء الذين ساهموا في نقض هذه الفكرة وقطع دابرها واستئصال شبهة القول فيها.

٢. عندما أقول "انظر" فيعني أنني تصرفت بالمنقول تقديماً أو تأخيراً أو اختصاراً أو استفدت منه الفكرة.

٣. عرّفت ببعض المصطلحات المهمة.

٤. لم أترجم إلا لأشهر من قال بالصرفة فقط مع الاختصار في الترجمة.

٥. وضعت خاتمة وضمنتها أهم النتائج.

أتبعت الرسالة بالفهارس التالية: أ – فهرس المراجع والمصادر.

ب – فهرس الموضوعات.

هذا وأعتذر عما وقع في البحث من تقصير وخلل، فلا أدعي أنني وفيتة حقه، أو استقصيته من جميع جوانبه، وحسبي أنني بذلت جهدي فيه، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من نقص وزلل فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

الكلمات المفتاحية: الصرفة، وجوه الإعجاز.

المبحث الأول

الصرفة لغة واصطلاحاً، ومصدرها وأشهر القائلين بها

المطلب الأول: الصرفة لغة واصطلاحاً

الصرفة والصرف في اللغة:

(صرف): الصاد والراء والفاء معظم بابيه يدلُّ على رَجْع الشيء^(٢). والصَّرْفُ رَدُّ الشيء عن وجهه صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فَانْصَرَفَ وصَارَتْ نَفْسُهُ عَنِ الشَّيْءِ صَرْفَهَا عَنْهُ. والصَّرْفَةُ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ نجم واحد نَيَّرَ تَلَقَّاءَ الزُّبُرَةِ.. إذا طلع أمام الفجر فذلك الحَرِيفُ وإذا غابَ مع طُلُوعِ الْفَجْرِ فذلك أولُ الرِّبيع، والعرب تقول الصَّرْفَةُ نَابُ الدَّهْرِ لِأَنَّهَا تَقْتَرُّ عَنِ الْبَرْدِ أَوْ عَنِ الْحَرِّ فِي الْحَالَتَيْنِ. والصَّرْفُ أَنْ تَصْرِفَ إِنْسَانًا عَنْ وَجْهِ يَرِيدُهُ إِلَى مَصْرِفٍ غَيْرِ ذَلِكَ، وَصَرَفْتَ الشَّيْءَ أَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِ كَأَنَّهُ يَصْرِفُهُ عَنْ وَجْهِ إِلَى وَجْهِ، وَتَصَرَّفَ هُوَ وَتَصَارِيفُ الْأُمُورِ تَخَالِيفُهَا، وَمِنْهُ: تَصَارِيفُ الرِّيَّاحِ^(٣).

وخلاصة القول في مادة صرف أنها تدور حول معنى تغير شيء عن وجهته وأصله.

الصرفة في الاصطلاح:

وتعني الصرفة في الاصطلاح: أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن، وكانت في مقدورهم، لكن عاقهم عنها أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك، لجاءوا بمثله^(٤).

فالذي يكاد يتفق عليه معظم القائلين بها هو: صرف الله هِمَمَ الْعَرَبِ عَنِ مَعَارِضَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ^(٥).

والمعنى المشهور للصَّرْفَةِ هو أن يقال: هي منع العرب من معارضة القرآن، ولولاها لاستطاع العرب معارضة القرآن، والإتيان بمثله؛ لأنَّ الذي يقول بها ينكر أن يكون القرآن معجزاً بأسلوبه وبلاغته وفصاحته^(٦).

والعلاقة بين المعنى اللغوي للصَّرْفِ والمعنى الاصطلاحي ظاهرة، فمنعهم من المعارضة صرفٌ لهم عن ذلك.

(٢) - مقاييس اللغة: لابن فارس ص ٥٠٦.

(٣) - انظر: لسان العرب: لابن منظور (١٨٩/٩).

(٤) - البرهان في علوم القرآن للزركشي (٩٣/٢)، الاتفاق في علوم القرآن للسيوطي (١١٨/٢).

(٥) - بيان إعجاز القرآن: للخطابي ص ٢٢.

(٦) - القول بالصرفة في إعجاز القرآن: لعبد الرحمن الشهري ص ١٥.

المطلب الثاني : مصدر القول بالصرفة

متى نشأ القول بالصرفة؟

يرى بعض الباحثين أن فكرة الصرفة قد تسربت إلى الفكر الإسلامي من الثقافة الهندية، وأن بعض المثقفين من علماء المسلمين اطلعوا على أقوال - البراهمة (٧) - رجال الدين في الديانة الهندية في كتابهم المسمى - الفيدا (٨) -، وهو يشتمل على مجموعة من الأشعار ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم.

ويقول جمهور علمائهم: إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها لأن - براهما (٩) - صرفهم عن أن يأتوا بمثلها.

أما خاصتهم فيقولون: إن في مقدورهم أن يأتوا بأمثالها ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراماً لها.

أما عن كيفية انتقالها:

فالظاهر أن هذه الفكرة قد وفدت للساحة الفكرية الإسلامية، عندما ترجمت الفلسفات الهندية في عهد -أبي جعفر المنصور- ومن جاء بعده من حكام بني العباس، فتلقفها الذين يحبون كل وافد من الأفكار ويركنون إلى الاستغراب في أقوالهم، فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول ويطبقوه على القرآن الكريم وإن كان لا ينطبق. فقال قائلهم: إن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن، ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه و نسجه ونظمه، بل كان عجزهم لأن الله صرفهم عن أن يأتوا بمثله (١٠).

(٧) - البراهمة: نسبة إلى: (براهما)، أحد عناصر الثلاث الهندي المكون من: (براهما، وفشنو، وسيفا)، ويمثلون الديانة الهندوسية، والبراهمة هم أعلى الطبقات في المجتمع الهندوسي، ولهم الكهانة والمراتب العليا، ويزعمون أنهم خلقوا من فم الإله براهما. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٧٣٤ - ٧٣٦).

(٨) - الفيدا veda: وهي كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة، وتصور حياة الأريين، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتباب كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود، وهي تتألف من أربعة كتب هي: ١- رج فيدا أو راجا فندا (أي الفيدا الملكية). ٢- يجور فيدا. ٣- سم فيدا. ٤- أثروا فيدا. المرجع السابق (٢/ ٧٣٤ - ٧٣٥).

(٩) - براهما: اسم الإله في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته الذي لا تدركه الحواس إنما يدركه العقل. المرجع السابق (٢/ ٩٩٥).

(١٠) - انظر: المعجزة الكبرى: لمحمد أبو زهرة ص ٧٩، والمفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام: لعلي الشحود (٥٢/٦) - بتصرف يسير.

ويشير الأستاذ الرافعي في كتابه: "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية": إلى أن وجوه إعجاز القرآن الكريم، بما في ذلك فكرة الصرفة هي نتاج نظر المعتزلة^(١١) في كتب أهل الفلسفة اليونانية وغيرها، كما هو ظاهر كلامه في العبارة التالية حيث يقول: "لما نَجَمَت آراء المعتزلة بعد أن أقبل جماعة من شياطينها على دراسة كتب الفلسفة مما وقع إليهم عن اليونان وغيرهم، نبغت لهم شؤون أخرى من الكلام، فمزجوا بين تلك الفلسفة على كونها نظراً صرفاً، وبين الدين على كونه يقيناً محضاً، وتغلغلوا في ذلك حتى خالف بعضهم بعضاً بمقدار ما يختلفون في الذكاء وبُعد النظر، فتفرقوا عشر فرق، واختلفت بهذا آراؤهم في وجه إعجاز القرآن اختلافاً يقوم بعضه على بعض، فيبدأ فارغاً وينتهي كما بدأ وإن كثر في ذات نفسه" أ. هـ (١٢).

وهناك من يرى أن فكرة الصرفة عربية خالصة، وأنها ظهرت بفعل أوهام خاطئة حول وجه إعجاز القرآن اعتقدها القائلون بالصرفة، وقد أشار الإمام أبو بكر عبد القاهر الجرجاني إلى شيء من ذلك "في" رسالته الشافية في وجوه الإعجاز "" - دون أن يجزم به - حيث يقول: "اعلم أن الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة، أن يكون الذي ابتدأ القول بها ابتدأه على توهم أن التحدي كان إلى أن يُعَبَّرَ عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أُطْلِقَ لهم وخبروا في المعاني كلها" (١٣).

ويرجح الدكتور-إبراهيم منصور- الرأي الثاني الذي يشير إلى أن الفكرة كانت عربية النشأة.

وفي ذلك يقول الدكتور محمد أبو موسى في كتابه "الإعجاز البلاغي"-رداً على من يذهب إلى أن القول بالصرفة له أصول في كلام الهند:- "أن عبارة خاصة البراهمة ليس فيها هذا الوجه الذي يعني الصرف وليس فيها ما يقرب منه. وإنما هي صريحة من أنهم لم يقولوا مثل أشعار الفيدا احتراماً لها وهذا غير ما نحن فيه، لأن الصرفة عند علمائنا تعني أمراً إلهياً. كما أنَّ كلام البراهمة كان محل سخرية العقل الإسلامي. وقد كانوا يذكرونه مثلاً للتسليم بعدم الحجة، ومثلاً للمذهب الذي لا مستنصر له، لأن الذين قالوا به

(١١) - المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وسبب تسميتهم: أن واصل بن عطاء لما قال في الفاسق: لا مؤمن ولا كافر، طرده الحسن البصري من مجلسه، فلحق بعمر بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، من أشهر بدعهم نفي الصفات، والقول بأن مرتكب الكبيرة بين المنزلتين وغيرها. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٢- ١١٨، مقالات الإسلاميين للأشعري ص ١٥٥- ٢٧٨.

(١٢) - المصدر المذكور ص ١٠١.

(١٣) - المصدر المذكور ص ٦١١.

لا حجة لهم. وكتاب الفيدا مثل كتاب زرادشت وماني^(١٤) فيها عند علمائنا حكم وتهوس، فكيف يستمدون منها وجهاً لبيان الحجة في القرآن؟.. "أ. هـ

المطلب الثالث: أشهر القائلين بالصرفة

١. الصَّرْفَةُ عِنْدَ النَّظَامِ:

أول من جهر بنظرية الصرفة و أشهر من قال بها هو النّظام، حتى صارت لا تذكر إلاّ مقرونة باسمه ولا تعرف إلاّ من خلاله..

من هو النّظام؟

أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصريّ (ت ٢٣١ هـ)، ابن أخت أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، المعروف بالنّظام بالطاء المعجمة المشددة، من أئمة المعتزلة.

تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بأراء خاصة. تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت "النّظامية" نسبة إليه. وبين هذه الفرقة وغيرها مناقشات طويلة.

أما شهرته بالنظام فأشيعه يقولون: إنها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون: أنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة^(١٥).

وذكر أنّ النّظام عاش في زمان شبابه قوما من الثنوية^(١٦)، وقوما من السمنية^(١٧)، وخالط ملاحدة الفلاسفة وأخذ عن الجميع^(١٨).

(١٤) - زرادشت وماني: زرادشت وهو رجل من أهل اذربيجان ادعى النبوة. وله كتاب قد صنفه، وقيل: إن ذلك أنزل عليه وهو "زند أوستا" (أي شرح التعاليم) وهو كتاب الزرادشتين المقدس. وهي ديانة تقول بوجود إلهين: واحد يمثل الخير والنور وهو الإله أو الموجود الأعلى. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٣٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين لمحمد الرازي (١/ ٨٦).
وماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، كان في الأصل مجوسياً، ثم أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وقد خالفه المجوس وسعت في قتله، حتى قتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى ابن مريم -عليه السلام. وكان يقول بنبوة المسيح -عليه السلام- ولا يقول بنبوة موسى -عليه السلام-. وهو القائل بالنور والظلمة. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٤٣).

(١٥) - الأعلام: للزركلي (٤٣/١).

(١٦) - الثنوية: مذهب ديني فلسفي قديم يمثل أحد أطوار الديانة المجوسية، شاع في بلاد فارس قبل النصرانية وبعدها، وانتسبت إليه فرق تحمل أسماء أصحابها، ومن أقدمها الزرادشتية، والديسانية، والمانوية، والمزدكية. الموسوعة الميسرة (١٠٤٢/٢).

(١٧) - وهي فرقة هندية تؤمن بالتناسخ. المرجع السابق (٧٦/١).

(١٨) - انظر: الفرق بين الفرق: للبغدادي (١١٣/١).

أما المعتزلة فيبالغون في تعظيم الرجل رغم سعة الخلاف بينه وبينهم فهذا تلميذه وأول منتقديه الجاحظ يزعم أن الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فان صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك (١٩).

وقد قال بتكفيره أكثر شيوخ المعتزلة، منهم: أبو الهذيل فإنه قال بتكفيره في كتابه المعروف بالرد على النظام (٢٠).

قال صاحب "السير": "ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كَفَّرَه جماعة. وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، ويُخفي ذلك.

وله نظمٌ رائعٌ، وترسلُ فائق، وتصانيفُ جَمَّةٌ، منها: كتاب "الطفرة" وكتاب "الجواهر والأعراض" وأشياء كثيرة لا توجد. ورد أنه سقط من غُرْفَةٍ وهو سكران، فمات، في خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضْعٍ وعشرين ومئتين" (٢١).

مفهوم الصرفة عند النظام:

" أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة" (٢٢).

فمن أقوال النظام -التي نقلها أصحابه في حكايتهم عنه (٢٣)- والتي تنص صراحة على هذا المعتقد قوله: (الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم، فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم...) (٢٤). وقوله أيضاً: (... وإنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجزاً، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله، بلاغةً وفصاحةً ونظماً...) (٢٥).

(١٩) - انظر: الأعلام: للزركلي (٤٣/١).

(٢٠) - انظر: الفرق بين الفرق: للبغدادي (١١٥/١).

(٢١) - المصدر المذكور للذهبي (٦٦٦/١).

(٢٢) - انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: للرافعي ص ١٠١، مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان (٢٦٨/١).

(٢٣) - نصّ َ كلام " النظام" في هذا ليس بين أيدينا، لكن نسبه إليه جمع من أهل العلم، وكثير من تراث المعتزلة في (إعجاز القرآن الكريم) فقدته الأمة... ولذلك أكثر الذين يذكرون نص عبارته، فهم يذكرونها من مقالة أصحابه في حكايتهم عنه.

(٢٤) - مقالات الإسلاميين: لأبي الحسن الأشعري (٢٢٥ / ١).

(٢٥) - الملل والنحل: للشهرستاني (٥٢ / ١).

ولعل أكبر دليل على أنَّ النِّظَام لم يكن يرى للقرآن في باب البلاغة والفصاحة أدنى فضل على كلام العرب، كلام تلميذه الجاحظ وهو أقرب الناس إليه وأعرفهم بمقالاته... حيث يقول في (حجج النبوة): (فكتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن، والرد على الطعان، فلم أدع فيه مسألة لرافضي^(٢٦))، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النِّظَام، ولمن نجم بعد النِّظَام، ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة^(٢٧)).

وهناك من يرى أنَّ النِّظَام إنَّما رمى بهذا القول في حومة الجدل، ولجاجة الخصومة، ولم يقله عن دراسة ومراجعة وتام اقتناع^(٢٨).

وفي هذا الكلام نظر^(٢٩)، لأن النِّظَام لا يرى في نَظْم القرآن ما يميّزه عن كلام العرب حتى يُجادلهم فيه، فالنظم مما يقدر عليه العباد وليس وجهاً للإعجاز عند النظام- فوجه إعجاز القرآن عنده هو إخباره بالغيب - وهذا ما أكدّه الجاحظ في عبارته التي سقتها آنفاً.

يقول الشيخ محمود شاكر-رحمه الله- في كتابه "مداخل إعجاز القرآن": ".... وهذه (الصِّرفَة) كما ترى، تسلب نظم القرآن وتأليفه كل فضيلة، لأنهم مُعْجَزُونَ بالصِّرفَة لا غير^(٣٠)!! بل أكبر من ذلك، أن هذه (الصِّرفَة) تجعل مطالبة الخليفة بالإتيان بمثل القرآن مطالبة ظاهرها أنهم مخيرون في فعل ما طُوبُوا به تخبيراً مطلقاً، وباطنها أنهم مُجْبَرُونَ على ترك فعل ما طُوبُوا به إجباراً مفاجئاً لا مخلص منه، ولا إرادة لهم فيه، ولا يملكون له دفعاً. فهم قادرون عاجزون في وقتٍ معاً. وهذا عبث محض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٢٦) - يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ، وأن خلافة غيرهم باطلة. فرق معاصرة للعواجي (١/ ٣٤٤).

(٢٧) - رسائل الجاحظ. (٣/ ٣٨٥).

(٢٨) - الإعجاز البلاغي: لمحمد أبو موسى ص ٣٥٦.

(٢٩) - انظر: القول بالصرفة: لإبراهيم التركي ص ١٦٣.

(٣٠) - يلاحظ أن الشيخ محمود شاكر-رحمه الله- جعل وجه إعجاز القرآن عند النِّظَام في الصرفة فقط، وهذا خلاف ما عليه غيره الذين ذكروا أنَّ مرد العجز عند النظم أمران: الإخبار عن الغيوب، وما أحدثه الله في العباد من المنع والعجز عن الإتيان بتأليف كتاب القرآن الكريم (الصرفة).

هذا العبث الفاضح خليق أن يكونَ سجيّة من سجايا ذكاء أبي إسحاق النظام وحده، وجبلة من جبالات عقله... " (٣١).

٢. الصَّرْفَةُ عند الجاحظ:

لما كانت الصَّرْفَةُ عند المعتزلة من أفكار شيخهم القديم؛ ولما كانت أفكارهم تخضع باستمرار للتصحيح والتصويب؛ وذلك لغلبة الجانب العقلي؛ ولما كانت أصولهم الكلية نفسها في أول أمرها غير نضيجة على أيام واصل بن عطاء - كما يقول الشهرستاني - ثم أكسبوها نضجاً، فإن الصَّرْفَةَ - وهي من الجزئيات وليست من الأصول عندهم - قد أكسبت وجوهاً مقبولة وأزيلت على مرّ الأيام - عنها الوجوه الشنيعة وأفرغت من محتواها إفراغاً؛ ولذلك كان مبرر الإمام الجاحظ للقول بالصَّرْفَةِ - هو منع الشغب؛ بينما كان مبرراً شيخه النّظَام غير ذلك.

من هو الجاحظ؟

أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، صاحب التصانيف، وهو قرين (النظام) في التلقي عن (العلاف) مذهب الاعتزال، ولا يخفى أن "الجاحظ" كان من المجاهرين بالقول بخلق القرآن الكريم، وله في تقرير هذا رسالة، وكان من المجاهرين بأن القرآن الكريم هو آية النبوة وحجتها، وأنه معجز، وأنَّ إعجازه في نظمه (٣٢)، وهو الذي ألف كتاباً في نظم القرآن الكريم وإعجازه وقد أسماه (الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه) (٣٣).

مفهوم الصرفة عند الجاحظ:

يقول الجاحظ - بعد أن ذكر عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن - (إن الله صرفهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه، ولذلك لم نجدَ أحداً طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة؛ لعظمت القصة على الأعراب؛ وأشباه الأعراب؛ والنساء، وأشباه النساء، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب، ولكثر القيل والقال) (٣٤).

(٣١) - المصدر المذكور ص ٦١.

(٣٢) - انظر: السير للذهبي (٢/٢٩٤)، الأعلام: للزركلي (٥/٧٤)، إعجاز القرآن الكريم بالصرفة: لمحمود توفيق ص ٢٩.

(٣٣) - الحيوان (١/٩)، وانظر: المدخل لإعجاز القرآن لمحمود شاکر ص ٧٠.

(٣٤) - الحيوان (٤/٨٩).

من هنا يتبين أن الجاحظ قد قبل الصِّرفة بوجه؛ ورفض إنكار شيخه للجانب البلاغي، ولذلك كان عجز البشر عن معارضة القرآن عنده ضربين: عجز طبيعي مرده علو طبقة القرآن في البلاغة، وعجز عارض مرده الصِّرفة ومنع الشغب.

هل يفهم من هذا أن الجاحظ كان متناقضاً؟

وقد نسب له للتناقض غير واحد من الباحثين الذين تناولوا موضوع الصرفة. لأن القول بالصرفة يقتضي أن الإعجاز للمعاني التي وردت في القرآن وليس لبلاغته ونظمه، في حين أن إثبات إعجازه البلاغي يردُّ القول بالصِّرفة، ويثبت الإعجاز الذاتي للقرآن نفسه.

ومن هؤلاء الأستاذ مصطفى صادق الرافعي- رحمه الله- الذي يرى أن الجاحظ قد وقع في الاضطراب والتناقض؛ إذ يقول في ذلك: "أمَّا الجاحظ فإن رأيه في الإعجاز ك رأي أهل العربية وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها... غير أن الرجل كثير الاضطراب، فإن هؤلاء المتكلمين كأنما كانوا من عصرهم في مُنخل... ولذلك لم يسلم هو أيضاً من القول بالصِّرفة؛ وإن كان قد أخفاها وأوماً إليها عن عُرض؛ فقد سرد في موضع من كتاب (الحيوان) طائفة من أنواع العجز؛ وردّها في العلة إلى أن الله صرف أوهام الناس عنها ورفع ذلك القصد من صدورهم ثم عدّ منها: "مار فَع من

أو هام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة لقرآنه، بعد أن تحداهم الرسول بنظمه" وقد يكون استرسل بهذه العبارة في نفسه من أثر أستاذه، وهو شيء ينزل على حكم الملابس ويعتري أكثر الناس إلا من تنبّه له أو نبّه عليه، أو هو يكون ناقلاً، ولا ندري" (٣٥).

وهناك من يرى خلاف ذلك وأن الجاحظ لم يضطرب أو يخف قوله بالصِّرفة؛ بدليل أنه ذكرها في غير ما موضع صراحة، وبرر ذلك بأن خوفه من هجوم الآخرين على المعتزلة هو الذي دفعه إلى القول بالصِّرفة؛ مفرغاً إياها من معناها القبيح؛ ملبساً إياها معنى مقبولاً نوعاً ما.

ومن الباحثين من يرى أن الجمع متمكن بين القول بالصرفة وإعجاز القرآن ببلاغته، فالجاحظ يرى أن القرآن معجز بنفسه، ولكن الله صرف العرب عن محاولة المعارضة لئلا يلتبس الأمر على العامة، فالله قد صرف العرب عن معارضة القرآن رغم تعذر أسلوبه عليهم، ليقفل باب اللجاجة والخصومة والشغب الباطل (٣٦).

ويؤكد الدكتور محمد أبو موسى- رحمه الله- التباين بين صرفة النّظام عن صرفة الجاحظ بقوله: "والصرف هنا مباين للصرفة الذي ذكرها النّظام وأنكرها الجاحظ، مباينة

(٣٥) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٠٢- ١٠٣.

(٣٦) - انظر: القول بالصرفة: لإبراهيم التركي ص ١٦٥.

لا تلتبس، فلولا الصرف عند النظام لجاءوا بمثله، أمّا صرفة الجاحظ هذه فلولاها لطمعوا فيه.... " (٣٧).

وأياً ما يكن فالاعتداد بالصرفة في كونها وجهاً من وجوه الإعجاز باطل، كما سيتضح بطلان ذلك في المباحث الآتي- بإذن الله تعالى -.

٣. الصَّرْفَةُ عند الرماني:

أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني (ت ٣٨٤هـ) معتزلي، مفسر، من كبار النحاة، من مصنفاته: "المعلوم والمجهول"، و"النكت في إعجاز القرآن" (٣٨).

مفهوم الصَّرْفَةُ عند الرماني:

والصرفة عنده: تشبه الصرفة عند الجاحظ، فهي لا تقدح في بلاغة القرآن، وحسن تأليفه، فقد ذكر الرماني أن القرآن في أعلى مراتب البيان، ولا يدانيه شيء من كلام فصحاء العرب، وبلاغيهم، فهو مقتنع بإعجاز البلاغة القرآنية، التي لولاها لجاءوا بمثله (٣٩).

يقول الرماني: "وأما الصرفة: فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم، في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز، التي يظهر منها للعقول" (٤٠).

٤. الصَّرْفَةُ عند الشريف المرتضى:

وممن تُنسب إليه القول بالصرفة أبو القاسم علي بن حسين بن موسى الموسوي الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ): من الشيعة الإمامية. كان صاحب فُنون، وهو من المتبحرين في الكلام والاعتزال. و تواليفه كثيرة منها: "الذخيرة في الأصول" (٤١)، و"الموضح عن جهة إعجاز القرآن الصرفة".

مفهوم الصَّرْفَةُ عنده:

"أن الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في معارضة القرآن، والإتيان بمثله".

(٣٧) - الإعجاز البلاغي ص ٣٦٣.

(٣٨) - انظر: السير: للذهبي (٢/ ٢٨٢٣)، الأعلام: للزركلي (٤/ ٣١٧).

(٣٩) - الصرفة دلالتها لدى القائلين بها لسامي عطا ص ٩.

(٤٠) - النكت في إعجاز القرآن: ص ١١٠.

(٤١) - انظر: السير: للذهبي (٢/ ٢٧٧٤)، وفيات الأعيان: لابن خلكان (٣/ ٣١٣).

يقول السيد المرتضى: " – والصرفة- إنما كانت بأن يسلب الله تعالى كُلَّ من رام المعارضة، وفكر في تكلفها في الحال العلومِ التي يتأتى معها مثل فصاحة القرآن وطريقته في النظم ". وإذا لم يقصد المعارضة وجرى على شاكلته في نظم الشعر، ووصف الخطب، والتصرف في ضروب الكلام، خُلِّيَ بينه وبين علومه، ولم يُخلَّ بينه وبين معرفته. ولهذا لا نُصيبُ في شيء من كلام العرب- منثور و منظوم- ما يقارب القرآن في فصاحته. مع اختصاصه في النظم مثل طريقته.

إلى أن قال: "... القرآن مختصٌ بطريقةٍ في النظم مفارقةٍ لسائر نُظوم الكلام. وعلى أن القوم لو لم يُصرفوا على الوجه الذي ذكرناه لَوَقَّعت منهم المعارضة بما يساوي أو يُقاربُ الوجه الذي ذكرناه" (٤٢).

إذن كيفية الصرفة عنده هي أن لا يجدوا العلم بالفصاحة في تلك الحال، فيتعذر ما كان مع حصول العلم متأثراً.

٥. الصرفة عند ابن سنان الخفاجي:

أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) شاعر، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره. له "ديوان شعر" و"سر الفصاحة" (٤٣). وهو شيعي كذلك.

مفهوم الصرفة عنده:

يقول ابن سنان الخفاجي في كتابه سرّ الفصاحة: "إذا عدنا إلى التحقيق وجدنا إعجاز القرآن: صرّف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة، في وقت مرّاهم ذلك..." (٤٤).

وبهذا يظهر أن ابن سنان يرى بأن إعجاز القرآن يكمن في سلب العرب العلم الذي يستطيعون به النظم على مثل فصاحة القرآن، فهو يذهب إلى أن العرب كانت لديهم القدرة على مثل فصاحة القرآن وبلاغته بدليل قوله: (الصحيح أن الإعجاز في القرآن هو صرف العرب عن معارضته، وأن فصاحته كانت في مقدورهم لولا الصرف...) (٤٥). وقال في موضع آخر: (ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى

(٤٢) - الموضح عن جهة إعجاز القرآن ص ٣٥-٣٦.

(٤٣) - الأعلام: للزركلي (٤/ ١٢٢).

(٤٤) - سر الفصاحة ص ١٠٠.

(٤٥) - المرجع السابق ص ٢٢٥.

رجع الإنسان إلى نفسه، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار، وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه...!!)(٤٦).

وقد عَقَّب الدكتور سامي عطا على كلامه هذا بقوله: " وهذا رأي عجيب من ابن سنان، لأنه على ما يبدو، إنما أَلَف كتابه - سر الفصاحة- ليبين أن أسرار إعجاز القرآن تكمن في فصاحته، فكيف استطاع أن يوفق بين قوله بأن إعجاز القرآن يكمن في فصاحته، وبين قوله بالصرفة...؟ (٤٧).

٦. الصَّرْفَةُ عند ابن حزم الظاهري:

وممن قال بالصرفة أيضاً: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) عالم الأندلس في عصره، الفقيه الحافظ، المتكلم، صاحب التصانيف، ومن توافيه: "المُحَلِّي"، و "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٤٨).

مفهوم الصَّرْفَةُ عنده:

يرى الأستاذ مصطفى الرافعي أنه لم يفسّر أحداً هذه الكلمة (الصرفة) كابن حزم الظاهري(٤٩)، الذي قال في كتابه(الفصل) في سبب الإعجاز: "لم يقل أحد من أهل الإسلام أن كلام غير الله تعالى معجز، لكن لما قاله الله تعالى، وجعله كلاماً له، أصاره معجزاً ومنع من مماثلته قال: وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره" (٥٠).
و يبدو هذا الكلام بادئ الرأي من ابن حزم غريباً إلا أنه عند التأمل فيه، نجده قد سار على مذهبه في نفي الرأي، والحكم بظاهر القول من غير تعليل، فالاتجاه إلى تعليل الإعجاز بأن السبب فيه بلاغته التي علت عن طاقة العرب، والتي جعلتهم يخرون صاغرين بين يديه من غير مرأ ولا جدال يعد تعليلاً، وهو من باب الرأي الذي ينفيه، والتعليل الذي يجافيه، فلا بد أن يبحث عن سبب غير ما ذكر الله تعالى " (٥١) (٥٢).

(٤٦) - المرجع السابق ص ٩٩.

(٤٧) - الصرفة دلالتها لدى القائلين بها: لسامي عطا ص ١٥.

(٤٨) - انظر: السير للذهبي (٢/ ٢٧٢٥- ٢٧٢٦)، الأعلام: للزركلي (٤/ ٢٥٤)، الصلة: لابن بشكوال (٣/ ٣٩٦).

(٤٩) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٠٢.

(٥٠) - المصدر المذكور (٤٥/٢).

(٥١) - انظر: المعجزة الكبرى: لأبي زهرة - بتصرف.

(٥٢) - وقد عَقَّب الشيخ: (محمد أبو موسى) في كتابه: "الإعجاز البلاغي" ص ٣٨٣ "على مقولة الشيخ (محمد أبو زهرة): " فلا بد أن يبحث عن سبب غير ما ذكر الله تعالى" بقوله: "... إنها كبيرة لا نرمي بها ابن حزم، ولو كان في القرآن آية واضحة بيّنة تحدد وجه إعجازه ما اختلف العلماء في بيانه، وإنما هو الاجتهاد، والرأي، والله من وراء القصد".

وابن حزم يقول بالصرفة والحيلولة دون المعارضة ومن ذلك قوله: "ولكن الإعجاز في ذلك إنما هو أن الله ﷻ حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله، ورفع عنهم القوة في ذلك جملة، وهذا مثل لو قال قائل إنني أمشي اليوم في هذه الطريق، ثم لا يمكن أحد بعدي أن يمشي فيها، وهو ليس بأقوى من سائر الناس، وأما لو كان العجز عن المشي لصعوبة الطريق وقوة هذا الماشي لما كانت آية ولا معجزة" (٥٣).

٧. الصرفة عند الراغب الأصفهاني:

أبو القاسم، اشتهر بلقبه، واختلف في اسمه فقيل اسمه: الحسين بن محمد المفضل الأصفهاني (أو الأصبهاني)، وقيل: الحسين بن الفضل، وقيل: غير ذلك (ت ٥٠٢ هـ)، صاحب التصانيف، كان من أذكى المتكلمين. من كتبه "محاضرات الأدباء"، و"المفردات في غريب القرآن" (٥٤).

مفهوم الصرفة عنده:

عَدَ الراغب الأصفهاني الصرفة كذلك وجها من وجوه الإعجاز، فقال: "اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين، أحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه، والثاني: بصرف الناس عن معارضته، إلى أن يقول: "فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة، الذين يهيمون في كل واد من المعاني - بسلطة لسانهم - إلى معارضة القرآن، وعجزوا عن الإتيان بمثله، ولم يقصدوا لمعارضته، فلم يخف على ذوي البلاغة أن صارفا إلهيا صرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا في الظاهر عن معارضة مصروفة في الباطن عنها" (٥٥).

ومؤدى كلامه: أنَّ الدواعي والهمم والعلوم قد توافرت لديهم ولكن!! لم يمنعهم إلا الجأء تعالى فتقهقروا في حلبة المعارضة لغلبة القوة الإلهية على قواهم.

ويذهب الدكتور محمد أبو زهرة إلى أن ما قاله "الراغب" قريب من الذي عند "الجاحظ"، فكلاهما يذكر الصارف الإلهي للعرب عن الشيء في صورته ونظمه أمر إلهي لا طاقة للناس به، ولو لم يصرفوا، وأن الأمر فيه يدلُّ ذا العقل عليه، وأن القوم عاجزون في الواقع الظاهر، ومصروفون في الباطن، فما راموا وما طمعوا" (٥٦).

(٥٣) - الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٠٩).

(٥٤) - انظر: السير: للذهبي (١/١٥١٣، ١٥١٤)، بغية الوعاة: للسيوطي (٢/٢٩٧)، الأعلام: للزركلي (٢/٢٥٥).

(٥٥) - انظر: الإتيان في علوم القرآن: للسيوطي (٢/٣٢٥ وما بعدها).

(٥٦) - الإعجاز البلاغي ص ٣٦٥.

وسأتي على إبطال هذه النظرية - نظرية الصرفة- والرد عليها في المبحث الآتي -
بإذن الله تعالى-.

لكن أثرت أن أذيل خاتمة هذا المطلب بعد سرد هذه الأقوال بمقولة للشيخ الفاضل محمد عبد العظيم الزرقاني -رحمه الله- يقول فيها: "إنني لأعجب من القول بالصرفة في ذاته، ثم ليشتد عجبي وأسفي، حين ينسب إلى نفر من علماء المسلمين، الذين نرجوهم للدفاع عن القرآن، ونربأ بأمثالهم أن يثيروا هذه الشبهات في إعجاز القرآن... على أن الحق لا يعرف بالرجال، إنما يعرف الحق بسلامة الاستدلال، وها قد طاش هذا الرأي في الميزان، فلنرده على قائله أيا كان.

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلافاً له حظٌّ من النظر" (٥٧).

المبحث الثاني: إبطال القول بالصرفة بالأدلة النقلية والعقلية

المطلب الأول: إبطال القول بالصرفة بالأدلة النقلية

لم يلق قول مما قيل في وجوه إعجاز القرآن الكريم من المناقذة أو المناقضة ما لقيه القول بالصرفة القائمة على أن نظم القرآن الكريم وتأليفه مما يقتدر عليه.

وقد تصدى لهذه الشبهة عدد من العلماء قاموا بالرد عليها وتقنيدها وسدوا كل سبيل من السبل التي يمكن أن يتوهم أن القول بالصرفة مما يمكن أن يكون وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم

هذا ويمكنُ تفنيدُ القولِ بالصرفةِ بأدلةٍ عديدةٍ منها:

أولاً: الأدلة النقلية:

١. تحدي الله لهم في آياتٍ عديدةٍ من كتابه المعجز من ذلك قوله سبحانه وتعالى:
﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

وفي هذا دليل أن عجزهم كان مع بقاء قدرتهم ولو لم يكن عندهم قدرة لما صح تحديهم إذ لا يصح لأحد أن يتحدى الموتى، إذ ليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره (٥٨).
والشاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾

(٥٧) - انظر: مناهل العرفان (٣٠٥/٢) - بتصرف يسير.

(٥٨) - الإتيان للسيوطي (٣٢٤/٢).

فهو يدل على وجود القدرة لأن المعاونة والمظاهرة إنما تكمن مع القدرة ولا تصح مع العجز والمنع^(٥٩).

وفي الآية وجه آخر ذكره الخطابي- رحمه الله- مفاده أن الأمر في الآية يتطلب التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدلّ على أن المراد غيرها... (٦٠)

الآيات الدالة على التحدي والإعجاز تحمل في طياتها دلالة واضحة على مزية القرآن وأنه فوق قدرة البشر فإن الخطاب القرآني لم يوقع التحدي إلا بعد الحديث عن نظم القرآن وعن معارضة العرب ورفضهم لدعوته وأحكامه ومعانيه والقول بالصرفة مناقض ومخالف لذلك.

٢. وصف الله تعالى القرآن بأوصاف ذاتية تجعله في منزلة لاتصل إليها المعجزات الأخرى، وبين أن وجود القرآن بينهم يتلى عليهم كافياً ومغنياً عن كل معجزة مادية أخرى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١].

فهذه الأوصاف والمزايا توجب أن يكون إعجازه ذاتياً وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُرَّتْ بِهِ أَلْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ أَلْمَوْقُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. أي لو كان من شأن كتاب أن يظهر له أثر في مثل هذه الأشياء لكان هذا القرآن أولى من كل كتاب بذلك. ويقول جلّ شأنه: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي نَقَشَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. فالقول بالصرفة يسلب هذه الصفات الذاتية عن القرآن الكريم ويجعل الإعجاز في المنع الذي حال بينهم وبين الإتيان بمثله (٦١).

(٥٩) - انظر: دراسات في علوم القرآن: لفهد الرومي ص ٢٧٤.

(٦٠) - في بيان إعجاز القرآن ص ٢٣.

(٦١) - مباحث في إعجاز القرآن: لمصطفى مسلم ص ٦٦.

٣. الإجماع وقع قبل قول النّظام بالصرفة على أنّ القرآن معجز بنظمه ولا سبيل لخرقه يقول الإمام القرطبي في كتابه "الجامع لأحكام القرآن" مفندا القول بالصرفة: "وهذا فاسد، لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إن المنع والصّرفة هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك، عُلِمَ أن نفس القرآن هو المُعْجَز، لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد قطّ كلامٌ على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفاً معتاداً منهم، دلّ على أن المنع والصّرفة، لم يكن معجزاً" (٦٢).

المطلب الثاني: إبطال القول بالصّرفة بالأدلة العقلية

ثانياً: الأدلة العقلية:

١. يلزم من القول بالصرفة أنّ الإعجاز ليس في القرآن ذاته وإنما في غيره وهو عدم استطاعتهم، فالقرآن بزعمهم ليس معجزاً، إنّما الإعجاز في المنع، وهذا باطل، وفي ذلك يقول أبو بكر الباقلاني - رحمه الله -: "ومما يبطل القول بالصرفة، أنّه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنّما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً، وإنّما يكون المنع هو المعجز فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه" (٦٣).

٢. يُرد على النّظام ومن معه بهذا القول: كيف يصح القول أن همّتهم لم تتجه للإتيان بمثل القرآن؟ وهم الذين لم يتركوا سبيلاً للقضاء على دعوة محمد ﷺ وسلّكوا كل طريق شاق، وحاربوه، وناووه، وقاطعوه، وأذوه مع إبطاله لمعتقداتهم، وإثارتة لحفيظتهم، واستفزازة لمشاعرهم، وإلهابه لغيرتهم، وأصاب موضع عزّتهم وفخارهم، وقد مكنهم من أنفسهم لو استطاعوا فدعاهم وتحداهم أن يأتوا بمثل سورة من القرآن ولو كان فيهم أدنى قدرة، أو عرفوا أحداً يملكها في أقصى الأرض لبعثوا إليه كما بعثوا لليهود يسألونهم عما يسألون محمداً ﷺ عنه ليخرجوه، فلا يصح بعد هذا أن يقال أن همّتهم لم تتجه للإتيان بمثله (٦٤).

٣. ويرد على المرتضى ومن شايعه: القائلين بأن الله سلب من العرب العلوم التي يحتاجون في معارضة القرآن، بهذا القول: وهل انحطت علومهم وعقولهم بعد التحديّ عمّا كانت عليه قبل التحديّ؟

وعند المقارنة بين أساليبهم في الكلام قبل بعثة محمد ﷺ وبعد البعثة لن تجد تفاوتاً بين أساليبهم. فإذا كان العرب قد صرفوا عن الإتيان بمثل القرآن الكريم بعد نزوله ووقوع

(٦٢) - المصدر المذكور (١/١١١).

(٦٣) - إعجاز القرآن (١/٣٠).

(٦٤) - دراسات في علوم القرآن: لفهد الرومي ص ٢٧٤.

التحدي فما بالناس لا نجد في كلامهم قبل وقوع التحدي ما يشبهه أو يقاربه في بلاغته وبيانه؟ يقول الإمام الباقراني - رحمه الله -: "إننا لو سلمنا أن العرب المعاصرين للبعثة قد صرفوا كما يزعمون، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة، وحسن النظم، وعجيب الرصف.... فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان (٦٥)".

٤. القول بالصرفة يقتضي أن بلاغة العرب تعطلت أو على الأقل تراجعت بعد وقوع التحدي والواقع خلاف ذلك فإن شعراءهم هم، وخطباءهم كذلك وكلامهم الفصيح، وأسلوبهم البديع، والألفاظ المنمقة، والمعاني الجليلة السامية بقيت هي لم يتغير من ذلك كله شيء... مما يؤكد أن العجز واقع في أنفسهم وقدرتهم لمزية هذا القرآن وعلو شأنه وإعجازه في بلاغته ونظمه لا غير.... يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني في "الرسالة الشافية": "أنه يلزم - على ادعائهم هذا - أن تكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان، وفي جودة النظم وشرف اللفظ، وأن يكونوا قد نقصوا في قرائحهم وأذهانهم، وعدموا الكثير مما كانوا يستطيعون، وأن تكون أشعارهم التي قالوها، والخطب التي قاموا بها، وكل كلام احتفلوا به من بعد أن أوحى إلى النبي ﷺ، وتحذوا إلى معارضة القرآن، قاصرة عما سُمع منهم من قبل ذلك القصور الشديد...." (٦٦).

- وإذا كان الأمر كذلك - وأن العرب كانت منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها - لزمهم - أن يعرفوا ذلك من أنفسهم، ولو عرفوه لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك، ولكنهم قد قالوا للنبي ﷺ: "إننا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئنا به، ولكنك سحرتنا، واحتلت في شيء حال بيننا وبينه... وكان أقل ما يجب عليهم في ذلك أن يتذكروه فيما بينهم، ويشكوه البعض إلى البعض، ويقولوا: ما لنا نقصنا في قرائحنا؟. ففي أن لم يرو ولم يذكر أنه كان منهم قول في هذا المعنى، لا ما قل ولا ما كثر، فهذا دليل على أنه قول فاسد، ورأي ليس من آراء ذوي التحصيل" (٦٧).

٥. لو عرض للعرب صارف منهم من معارضة القرآن كما يدعيه القائلون بالصرفة لثقل وأثر عنهم ذلك لوجود الدواعي، فقد كانوا يجهدون أنفسهم وبيالغون في البحث عن شيء يعللون به رفضهم لدعوة النبي ﷺ بالكذب والبهتان، وما أيسر وأسهل أن يقولوا إننا قادرون على الإتيان بمثل هذا القرآن ولكن طراً لنا كذا أو منعنا كذا أو أن سحر محمد حرمانا من بياننا وبلاغتنا، ولكن كل ذلك لم ينقل لا شيء إلا لأنه لم يقع أصلاً والله أعلم.. فإن قيل: وقعت الصرفة دون أن يشعروا بها، لزم من هذا القول أن حجة الله تعالى

(٦٥) - إعجاز القرآن - بتصرف يسير (٣٠/١).

(٦٦) - المصدر المذكور ص ٦١١. وقد أفرد في هذه الرسالة فصلاً كاملاً في الذي يلزم القائلين بالصرفة، أبطل فيه مذهبهم، برود كافية شافية.

(٦٧) - الرسالة الشافية: لعبد القاهر الجرجاني ص ٦١٤ - ٦١٥.

الواقعة بتحديدهم لا تصح في حقهم بل لا بدّ من وقوع التحدي وأن يعلم المتحدي به ويتأكد من عجزه وجهة عجزه كذلك وإلا بطل الإعجاز أصلاً.

٦. تعظيم العرب لبلاغة القرآن وإجلالهم وإكبارهم له رغم معارضته وكره أحكامه وحدوده وما جاء به... والقصاص في سيرته العطرة التي تثبت ذلك كثيرة (٦٨)، من نحو: "أنّ عليه لطلاوة، وإنّ له لحلاوة، وإنّ أسفله لمُعذق، وإنّ أعلاه لمثمر"، وبمثل هذا استدلل عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - على بطلان القول بالصرفة حيث يقول: "... وذلك أن محالاً أن يعظموه، وأن يبهتوا عند سماعه، ويستكينوا له، وهم يرون فيما قالوه وقاله الأولون ما يوازيه، ويعلمون أنه لم يتعذر عليهم، لأنهم لا يستطيعون مثله، ولكن وجدوا في أنفسهم شبه الآفة، والعارض يعرض للإنسان فيمنعه بعض ما كان سهلاً عليه، بل الواجب في مثل هذه الحال أن يقولوا: إنّ كنّا لا يتيهأ لنا أن نقول في معاني ما جئت به ما يشبهه، إنّنا لنأتيك في غيره من المعاني بما شئت وكيف شئت، بما لا يقصر عنه ولا يكون دونه" (٦٩).

٧. إنّ إعجاز القرآن سببه إحاطة صاحبه بالعلم كلّه وعجز العرب عن الإتيان بمثله لأنّ علمهم محدود يقول ابن عطية - رحمه الله - "وجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، فعلم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل، والنسيان، والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن محيطاً قطّ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النظر يبطل قول من قال: إنّ العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، فلما جاء محمد ﷺ صُرفوا عن ذلك وعجزوا عنه. والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قطّ في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصحح منهم يضع خطبة، أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر بعده فيأخذها

(٦٨) - ومن ذلك أيضاً ما ورد في قصة - عتبة بن ربيعة - و كان سيّداً في قومه، وهو الذي نادى يوماً في قريش، وعرض عليهم أن يقوم إلى محمد ﷺ ويكلّمه ويعرض عليه عدة أمور.... فعرض عليه المال، والشرف، والملك إلخ ما جاء في القصة.... فبعد أن فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع إليه تلى عليه صلوات الله وسلامه سورة فصلت وعتبة ينصت إليه، وهو ملق يديه خلف ظهره، معتمداً عليهما، حتى انتهى الرسول إلى السجدة، ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك"، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشعر، ولا بالسر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه... وقصة إسلام عمر، والطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنهما، وتأثر خالد وعمرو بن العاص بالقرآن الكريم كلّ ذلك معروف مشهور في كتب السيرة.

(٦٩) - الرسالة الشافية ص ٦١٩.

بقريحة جامعة فيبذل فيها وينقح، ثم لا تزال فيها بعد ذلك مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله لو نُزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد " (٧٠).

٨. إن مثل الذين يقولون إن إعجاز القرآن بالصرفة كمثل الذين قالوا إن القرآن سحر يؤثر، وقد أثبت ذلك الرافعي-رحمه الله- في كتابه "إعجاز القرآن" فقال: "وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]. وهذا زعم رده الله على أهله، وأكذبهم فيه، وجعل القول به ضرباً من العمى ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥] (٧١).

وإن التشابه بين القول بالصرفة والقول بأنه سحر: أن الامتناع عن المماثلة في كليهما من خارج الشيء لا من ذاته، فالقول بالصرفة يفيد أن العرب لم يكونوا عاجزين، ولكن حيل بينهم وبين العمل على المماثلة، وكذلك الأمر في السحر يشدهم، حتى عجزوا (٧٢). وهكذا ساق العلماء الدليل تلو الدليل على بطلان القول بالصرفة، يؤكدون من خلال هذه الأدلة أن بلاغة القرآن تعود إلى أمر ذاتي فيه، جعله معجزاً للبشر. والحقيقة التي ما كان ينبغي أن تغيب عن أذهان المنصفين أن هذا الكتاب العزيز، معجز بألفاظه ومعانيه

فهو كلام رب العالمين، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] فكيف بمن أنار الله عقله وأوتي شيء من الفصاحة والبلاغة وهو يقبل في آيات الذكر الحكيم ويقف عند آيات تخر لها الجبال وتتصدع من عظمتها وقوته فلا تملك إلا الانصياع والخضوع ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّصَدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]

ثم يتخبط أيما تخبط ويوازي كلام البشر الذي يعتريه ما يعتريه بكلام خالق البشر !!!
والحقيقة التي لا منا ص منها أن قعود العرب عن معارضة القرآن ليست إلا بسبب شعورهم بعجزهم عن هذه المعارضة واقتناعهم بإعجاز القرآن، والتحدي ليس مرتبطاً

(٧٠) - انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (١/١١١)، الصرفة: لسامي عطا ص ١٨ - ١٩.

(٧١) - المصدر المذكور ص ١٠٢.

(٧٢) - انظر: المعجزة الكبرى: لمحمد أبو زهرة ص ٨٤ - ٨٥.

بزمن النبوة فقط، بل هو قائم إلى قيام الساعة فأين المدعي فليأتنا بدليل؟.. وأتّى له ذلك أمام هذه المعجزة الربانية! وستظل هذه المعجزة الخالدة شاهدة على عجز البشر أمد الدهر، وما نحن قد وقفنا على شهادة أعداء القرآن أنفسهم في أوقات تخليهم عن عنادهم! وما زال التاريخ يسجل هذه الحقائق منذ ذلك العصر إلى عصرنا الحالي بل وإلى قيام الساعة.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث المتواضع أحمده سبحانه وأشكره على ما يسره لي من إنجاز هذا البحث وهداني إليه، هذا وقد خلصت في هذا البحث إلى عدة نتائج منها:

١. إن الجدل الذي ثار حول نظرية الصرفة يؤكد أنها من الخطورة بمكان، ويوضح أنها قد كانت نتاج منهج فكري متكامل له رواده والمدافعون عنه، كما له أعداؤه ومناقضوه.

٢. تبع النّظام في القول بالصّرفة نفر من العلماء خدموا الإعجاز البلاغي للقرآن؛ واهتموا به اهتماماً كبيراً؛ ومن هؤلاء على سبيل المثال: الجاحظ، والرماني، والشريف المرتضى، وابن سنان الخفاجي وغيرهم، والحق أن القول بالصّرفة عند جميع هؤلاء لم يكن على شاكلة واحدة، ولم يكن وقع الحافر على الحافر كما كان عند النّظام، بل إنهم قالوا بالصّرفة وجمعوا بينها وبين الإعجاز البلاغي، وقد يبدو هذا الموقف غريباً متناقضاً، إذ أن الصّرفة عند النّظام نفسه ما كانت إلا تبريراً لإنكاره الإعجاز البلاغي؛ حيث أن القرآن عنده ليس بمعجز في البلاغة والفصاحة، ولأجل ذلك فلا حاجة لمن أقر بالإعجاز البلاغي للقول بالصّرفة أصلاً.

٣. كان لظهور هذه الشبهة حول إعجاز القرآن أثر كبير في ثراء مكتبة الإعجاز البلاغي في القرآن، حيث تصدى لهذه الشبهة عدد كبير من العلماء بالردّ والتفنيد، وإثبات وجوه متعددة لإعجاز القرآن في ذاته، وليس بسبب الصرف والممنوع.

٤. إن الناظر في هذا الجدل وهذا الاختلاف حول تفسير الصرفة، والتباين في فهم العلماء وتحديدهم لوجهة قائلها ومحاولتهم تفنيدها تارة، وتارة وضع مبررات لبعض قائلها، ليدل دلالة واضحة على عظمة هذا القرآن الكريم - سواء ممن أراد الدفاع عنه، أو النيل منه- فنحن أمام معجزة باهرة أعجزت البشرية جمعاء، ومهما حاول العلماء الدفاع عن كتاب الله ﷺ من أن تناله أيدي خفية تحاول التنقص منه، فسيظل القرآن هو القرآن لا يحتاج إلى دفاع فهو المعجزة الخالدة التي تخضع لها القلوب.

وأخيراً أسأل الله المولى جلت قدرته أن يغفر لي ولجميع المسلمين، ويرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فهرس المصادر:

١. الإتيقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تقديم: محمد شريف سكر، راجعه: مصطفى القصاص، ط. الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار إحياء العلوم- بيروت، مكتبة المعارف-الرياض.
٢. الإعجاز البلاغي "دراسة تحليلية لتراث أهل العلم": لمحمد أبو موسى، ط. الثانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧، مكتبة وهبة.
٣. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لخير الدين الزركلي، ط. السابعة، ١٩٨٦م، دار العلم للملايين- بيروت، لبنان.
٤. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، ١٤٠٢، دار الكتب العلمية - بيروت.
٥. إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلائي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة.
٦. إعجاز القرآن الكريم بالصرفة دراسة ناقدة: لمحمود توفيق محمد سعد- جامعة الأزهر الشريف.
٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: لمصطفى صادق الرافعي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، دار الكتاب العربي- بيروت.
٨. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط. الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الكتاب العربي- بيروت.
٩. الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، دار الجيل، لبنان- بيروت.
١٠. الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها: لسامي عطا حسن، جامعة آل البيت.
١١. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: لأبي القاسم بن بشكوال، صححه: السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، ط. الثانية، ١٤١٤هـ .
١٢. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، اعتنى بها وعلق عليها: الشيخ إبراهيم رمضان، ط. الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٧٧م، دار المعرفة - بيروت.
١٣. الفرق بين الفرق: للبغدادي، ط. الثانية، ١٩٧٧م دار الآفاق الجديدة - بيروت.
١٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، تحقيق: يوسف البقاعي، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان.
١٥. القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم - عرض ودراسة -: لإبراهيم بن منصور التركي، جامعة القصيم.
١٦. القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم - عرض ونقد -: لعبد الرحمن بن معاضة الشهري، ط. الأولى، ١٤٣٦هـ، دار المنهاج- الرياض.

١٧. المعجزة لكبرى القرآن: نزوله كتابته جمعه إعجازه جدله علومه تفسيره حكم الغناء به: لمحمد أبو زهرة ١٣٩٠ - ١٩٧٠، دار الفكر العربي.
١٨. المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام: جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود.
١٩. الملل والنحل: لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٠٤، دار المعرفة - بيروت.
٢٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ط. ١٤١٨ هـ دار الندوة العالمية.
٢١. الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة): للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي. تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي، ط. الأولى (١٤٢٤ هـ)، مجمع البحوث الإسلامية - مشهد - إيران.
٢٢. النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): لعلي بن عيسى الرماني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد وزميله، ط. الثالثة، دار المعارف - مصر.
٢٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت.
٢٤. بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للخطابي، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغول سلام، ط. الرابعة، دار العارف - القاهرة.
٢٥. رسائل الجاحظ: جمع وتحقيق: عبد السلام هارون، ١٣٨٤ هـ، مطبعة الخانجي - القاهرة.
٢٦. دراسات في علوم القرآن الكريم: لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط. العاشرة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، مكتبة الرشد - الرياض.
٢٧. دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط. الخامسة، ٢٠٠٤ هـ، مكتبة الخانجي.
٢٨. سر الفصاحة: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
٢٩. دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٠. سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، رتبته: حسان بن عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.
٣١. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: لغالب بن علي عواجي، ط. الرابعة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، المكتبة العصرية الذهبية - جدة.
٣٢. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط. الأولى، دار صادر - بيروت.
٣٣. مباحث في إعجاز القرآن: لمصطفى مسلم، ط. الثانية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م دار المسلم - الرياض.

٣٤. مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان، ط. الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٣٥. مداخل إعجاز القرآن: لأبي فهر محمود محمد شاكر، ط. الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م، المؤسسة السعودية- مصر، دار المدني- جدة.
٣٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، ط. الثالثة، دار إحياء التراث-بيروت.
٣٧. مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، راجعه وعلق عليه: أنس محمد الشامي، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م، دار الحديث- القاهرة.
٣٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ١٩٠٠، دار صادر - بيروت.
٣٩. ومضات إيمانية: لإبراهيم المدلج، تقديم: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط. الأولى، ١٤١٥ هـ، دار الجواب.